مدينة سلا واثرها العلمي في دولة بني مرين

م.د. بيان ياسين عباس

كلية التربية – الجامعة المستنصرية

كلمات مفتاحية باللغة العربية : بني مرين . مدينة سلا . الاثر العلمي

الملخص:

ان مدينة سلا مدينة قديمة تقع على الساحل المحيط الاطلسي كانت في الاصل قرية بربرية صغيرة، بعد فتح القائد عقبة بن نافع للمدينة اسلم أهلها، ثم دخلها الأدارسة، الا انها تعرضت للتخريب في عهد المرابطين، لكن في عهد اميرهم يوسف بن تاشفين شهدت تطورا عمرانياً، وفي عهد الموحدين نمت هذه المدينة على غرار المدن المهمة في المغرب خلال المرحلة الممتدة من اواسط القرن الحادي عشر الى اواسط القرن الثالث عشر.

اما في عصر الدولة المرينية استمرت مدينة سلا على ما كانت عليه في عهد الموحدين فقد اتخذوا منها عاصمة ثانية لهم بعد فاس وقاعدة لتجهيز الجيوش العابرة الى الاندلس ثم اخذت سلا تستقبل المهاجري المسلمين من الاندلس وظلت موضع اهتمام ورعاية سلاطين بني مرين فاستطاعت هذه المدينة ان تنهض من جديد في ظل دولة اسهمت في المحافظة على ما تبقى من المعارف الاسلامية، واستمرت سلا حاضرة اسلامية ذات ثقافة راقية ومركز للثقافة الاسلامية ومدينة توارث اهلها المعرفة جيلا بعد جيل وامتازت بإشعاعها العلمي والديني وقصدها الطلاب للأخذ عن شيوخها فكانت مدينة للعلم وملتقى للعلماء والاحبة وفيها الفنادق والمواسم والكتب، فقد اصبحت سلا ذلك المركز الثقافي الذي اخذ يتضح تأثيرها بما شهدته من الفقهاء والزهاد اذ كانت المعرفة تنحدر من سلالات معينة بالمدينة وتفوقت عن باقي مدن المغرب بأمور الجهاد والتقوى والعلم، فكان ما يميز الحركة العلمية في مدينة سلا في العصر المريني ظهور الكثير من الفقهاء والقضاة والمحدثين والزهاد.

المقدمة:

يهدف هذا الموجز التاريخي عن مدينة سلا الى فهم الوضع العلمي لهذه المدينة ومدى تأثيرها وتأثرها الثقافي والتفاعلات السياسية التي اثرت في النسيج الحضاري لسلا اذ ساهمت

مساهمة فكرية وحضارية في عهد بني مرين ومن قبلهم الموحدين، ويبرز لنا هذا البحث خصوصيات هذا الاثر لتلك المدينة و جعلها تشترك مع باقي المدن المغربية بالأثر الثقافي على بلاد المغرب العربي في عهد بني مرين، مما جعلها جزء لا يتجزأ من تاريخ بلاد المغرب فقد كان للموقع الجغرافي لسلا اثره في جل الحركات السياسية لتاريخ بلاد المغرب فقد ارتبط ميناؤها بالعواصم المهمة مثل فاس ومراكش، اذ احتلت سلا في عهدهم المركز الثاني بعد فاس في عدد المؤسسات التعليمية مثل المساجد والمدارس والزوايا في المغرب الاقصى ،فضلا عن الاهتمام بالعلوم الدينية والادبية، فازدهرت فيها الحياة العلمية مما ساعدت تلك الظروف على ظهور العديد من العلماء اذ كانت تتصدر مدن المغرب في علوم الطب كل ذلك كان له اثر واضح على دولة بني مرين.

اقتضت طبيعة البحث الى تقسيمة الى مقدمة وتمهيد لجغرافية المدينة وثلاث مباحث وخاتمة اذ تناول التمهيد جغرافية المدينة ومساحتها، وتناول المبحث الاول تاريخ مدينة سلا خلال العصور التاريخية، أما المبحث الثاني تكلمنا عن دولة بني مرين ووضع مدينة سلا سياسيا واقتصاديا خلال حكم بني مرين لها، اما المبحث الثالث تناول فيه المظاهر العلمية من المنشئات المدنية والدينية لمدينة سلا ومن ثم تناولنا علماء المدينة واثرهم خلال العصر المريني.

التمهيد:

اولاً :- مدينة سلا المغربية جغرافيا :

سلا هي مدينة بأقصى المغرب ،وهي بلفظ الفعل الماضي من سلا يسلو(1)(معجم البلدان ،مج3:ص231)، وهي واحدة من المدن المغربية التي تأسست في القرن الاول(2) (مدينة سلا المغربية ،2016، ص10)، وهي مدينة متوسطة في الصغر والكبر موضوعة على زاوية من الارض قد حاذ بها البحر والنهر ، فالبحر شمالها والنهر غربيها من الجنوب وفيه نهر كبير تجري فيه السفن اقرب منه الى البحر(3)(معجم البلدان،مج3 ،ص231).

تبلغ مساحة مدينة سلا (95,48)، وتقسم اداريا الى خمس مناطق هي باب المريسة وحصتي، بطانة، وتابركت ولعيايدة، كما تلقب بعدة القاب كمدينة السبعة ابواب ومدينة الشموع ومدينة الاولياء ومدينة القراصنة، وكان اسمها قديما مدينة شالا(4) مدينة سلا المغربية ،ص10)، في زمن الفينيقيين وهي كلمة بربرية اما في معنى سلا باللغة الفينيقية فتعني الصخرة، وقيل ان وجود مدينة سلا وعدوتها شالة سابقة على الاسلام بكثير والحضر والحكمة كانت فيها قبل الاسلام(5)(موجز تاريخ سلا،ص100).

ويذكر لنا الحموي(6)(معجم البلدان ،مج 3،ص231)((في اقصى المغرب ليس بعدها معمور الا مدينة صغيرة يقال لها غسر نيطون ثم ياخذ البحر ذات الشمال وذات الجنوب وهو البحر المحيط فيها يزعمون وعلى ساحل جنوبية وما سامته بلاد السودان)) ويقول الزهري(7 ،كتاب الجغرافية،ص150)عن سلا ((وما يلي فاس في المغرب مدينة سلا على النهر الاعظم المسمى بنهر سمير الذي يصب في البحر بالموضع المسمى قصر بني تاورة قصر بناه امير المومنيين محمد بن علي، وبالقرب منها على البحر مرسى فضالة وازبلا وانفا وازمور واسفي وبالقرب من ازمور يقع النهر المسمى بوادي ام الربيع المعترض بين سلا ومراكش)).

وهذا يدل على ان هناك مدينتين تحملان اسم سلا، احدهما سلا القديمة شالة على الضفة اليسرى لوادي ابي رقراق وقد اندثرت وذكر ابو القاسم الزياني في الترجمانه الكبرى في أخبار المعمورة براً وبحرا وهذا نص كلماته قال: ((اول ما بناء بناه البربر لما دخل المغرب مدينة سلا قيل ان الاسكندر لما دخل المغرب بناها وبني مدينة شاله مقابلة لها وقيل ان الذي بناهما أفريقيش الحميري بعد دخول الصعب ذي القرنين)) (8)(مقدمة الفتح :2012،ص26)،اما الاخرى فهي سلا الحديثة الواقعة على الضفة اليمنى للوادي وهي مدينة مستمرة في الوجود حتى وقتنا الحاضر .ظلت مدينة سلا حاضرة في كل عصور التاريخ المغربي بنشاطاتها المختلفة وما يهمنا هو اسهاماتها العلمية والفكرية . ففي العصر المريني احتلت مدينة سلا المركز الثاني بعد مدينة فاس في عدد مؤسساتها التعليمية مثل المساجد والمدارس والزوايا في بلاد المغرب الاقصى، فازدهرت فيها الحياة العلمية والادبية وشهدت ظهور العديد من العلماء الذين انجبتهم مدينة سلا (9)(،الحركة العلمية،ص22).

وكانت سلا في اواسط القرن الثاني عشر ذات نشاط اقتصادي ملحوظ واعتبرت سلا مدينة حسنة وحصينة ، لها اسواق ذائعة وتجارات داخلة وخارجة وسعة اموال ونمو احوالها والطعام بها كثير رخيص جدا وبها كروم وغلات وبساتين، ومراكب اهل اشبيلة وسائر المدن الساحلية الاندلسية يقلعون عنها ويحطون بها بضروب البضائع واهل اشبيلة يقصدونها بالزيت الكثير ويتجهزون منها بالطعام الى سائر بلاد الاندلس الساحلية (10)(الادريسي ،المغرب ،ص73).

وفي نهاية القرن الثاني عشر اكتملت ساكنة سلا نزوح البربر من مختلف انحاء شمال افريقيا والعرب وتونس والنصارى المهاجرين من مملكة غرناطة (11)(موجز تاريخ سلا ،ص31).

ثانيا:- تاريخ مدينة سلا خلال العصور التاريخية

1-مدينة سلا قبل الاسلام :

تعد مدينة سلا SALE مدينة ازلية قديمة تقع على ساحل المحيط الاطلسي كانت في الاصل قرية بربرية صغيرة . يرجع بنائها الى حوالي 1500 ق.م, فقد سكنها القرطاجيون وانشاوا بها متجرا عرفي في عهدهم باسم سليفس silves، وفي مطلع القرن الاول الميلادي احتلها الرومان وسموها سلا- كولونيا واستمرت مستعمرة رومانية مدة تقرب من الخمسمائة عام بلغت خلالها اوج ازدهارها(12)(،المغرب عبر التاريخ :1965م:ص73)، لكن تضاءلت اهمية سلا عند مجيئ الوندال ولكن استعادت مجدها على طول العهد البيزنطي(13)الاستبصار ،ص34)، استمر خضوع سلا لحكم الدولة البيزنطية الى ان جاء القائد عقبة بن نافع وقام بفتحها عام 62هـ/682م(14)،جذوة الاقتباس ،1974م،ص3).

2- سلا بعد دخول الاسلام الى بلاد المغرب:

أ- عصر الفتح الاسلامي للمغرب :

بعد فتح القائد عقبة بن نافع لمدينة سلا اسلم اهلها على يديه ، الا انهم ارتدوا عن الاسلام بعد مقتله في معركة تهودة عام 64هـ/684م(15)،البيان المغرب، 1978م:ص27)، ولكنهم في عام 90هـ/709م اسلموا مرة ثانية على يد القائد موسى بن نصير(16: ابن القاضي ،جذوة الاقتباس ،ق1 ،ص20).

ب- عصر دولة الادارسة :-

بعد ذلك دخلها ادريس الاول عام 172هـ/ 789م، وعندما توفي ادريس الثاني تاركا اثني عشر ولد، فقد قسمت مدن بلاد المغرب الاقصى بين اولاده فاعطيت سلا مع عدد من المدن الى عيسى بن ادريس الثاني(17) العبر،ج4،ص14)، الا ان فيما بعد تمرد عيسى على اخوه ونكث بيعة اخيه محمد الامام وخلع طاعته، فامر الاخير اخيه صاحب طنجة القاسم بمحاربة عيسى بسبب تمرده ولقرب طنجه من سلا، ولكن القاسم امتنع(18:ابن الابار ،الحلة السيراء ص45)، فامر الامام محمد اخيه عمر صاحب صنهاجة بالخروج على عيسى واخضاعه فتمكن عمر من الاستيلاء على ما كان بيد اخيه عيسى، وهكذا اخضعت سلا فاصبحت السواحل البحرية كلها من عمل عمر(19) البيان :ج4،ص 163) ,اذ تمتد من تيكاس مرورا بسبته وطنجه الى اصيلا وسلا على ساحل المحيط الاطلسي(20: الاستقصا :ج1،ص172).

استمرت سلا تحت ايدي الادارسه الى ان انتزعها منهم موسى بن ابي العافية المكناسي عام 217هـ/1056م، فصارت سلا عاصمة ملك بني يفرن التي يحكمها ابو الكمال تميم بن

زيري اليفرني(21)البيان ،ج4،ص27)، وعندما توفي دفن بالمدينة نفسها عام 448هـ/1056م. وثم خلفه ولده محمد(22) ،البيان ، ج4، ص27).

ج -مدينة سلا في عهد المرابطين:(462هـ)

اما في عهد المرابطين فقد تعرضت المدينة للتخريب مرارا(23 ابن عذاري ،البيان ،ج4، ص27)، ففي سنة 466هـ/1072م ارسل امير المرابطين يوسف بن تاشفين قائده ابو محمد مزدلي الى مدينة سلا على راس جيش كبير ففتحها(24 :الادريسي :صفة العرب ،ص82)، فقد زارها الادريسي في عصر المرابطين ووصفها بكونها مدينة مخربة وبها بقايا بنيان وهياكل ويتصل بخرابها عمارات متصلة وزرع ومواشي لاهل سلا(25 ،الادريسي ،،ص83).

فضلا على ان في عهد المرابطين بعد انتصارهم على قوات الملك ارغوان الفونسوا السابع فقد تم تغريب النصارى المعاهدين في غرناطة الذين كانوا يتعايشون مع المسلمين في ذمة الاسلام منذ الفتح الا انهم كانوا منافقين غير موالين للمسلمين وانهم بذلوا العون للملك ارغوان، فكان عقابهم هو نفيهم الى بلاد المغرب(26 ،البيان المغرب ،ج4،ص28)، فكانت من بين مدن المغرب سلا ، الا ان بعض المؤرخين يذكرون ان سلا لم تشهد هجرة واسعة للاندلسين على غرار المدن المغربية الاخرى(27)موجز تاريخ سلا ،ص37).

شهدت مدينة سلا في عصر المرابطين تطورا عمرانيا اذ قام الامير يوسف بن تاشفين(453هـ- 500هـ)بناء جامع الشعبة وقد نقل اعمدته الرخامية الصفرا من مدينة سلا القديمة(28)الحركةالعلمية ،ص221)،ربما اتي بها من خرابات شالة الرومانية(29)،موجز تاريخ سلا ،ص 39) فضلا عن قيامهم ببناء قصبة سلا على الضفة اليسرى عند مصب ابي رقراق(30) الحركة العلمية ،ص221).

د- مدينة سلا في عصر الموحدين :-

نمت سلا على غرار المدن المهمة في المغرب خلال المرحلة الممتدة من اواسط القرن الحادي عشر الى اواسط القرن الثالث عشر فبعد مواصلة الموحدين في انتصاراتهم على المرابطين وبوفاة يوسف بن تاشفين 539هـ /1145م ،انهارات مقاومة المرابطين وتمكن الموحدين من الاستيلاء على الكثير من مدن المغرب(31)البيان المغرب ،ج5 ،ص25)، وسار عبدالمؤمن بن علي من مكناسة الى مدينة سلا لكن امتناع اهلها من الدخول في طاعته واغلاقهم ابواب المدينة وتحصنهم خلف اسوارها في مواجهة الموحدين ، ولكن من المرجح ان الخيانة قد لعبت دورا كبيرا في فتح مدينة سلا (32) ،نهاية الارب،ج22،ص199.

ودخل عبد المؤمن سلا في السابع من ذي الحجة سنة 540هـ / 1046م، وامن اهلها ورتب احوالها واستولى على قصبتها التي كانت قد بناها تاشفين بن علي بن يوسف وامر بتخريب اسوارها واقام بها اربعة ايام وصلى صلاة عيد الاضحى وولى عليها عبد المؤمن الشرقي، فضلا عن ذلك فقد تم استقبال عبد المؤمن من قبل شخصيات كبيرة منها القاضي عياض بن موسى اليحصبي قاضي سبتة اذ كان من اعظم فقهاء العصر وعلمائه فسار للقاء عبد المؤمن بن علي بسلا فقامت سلا بعد ذلك على طاعة الموحدين(33)البيان المغرب ،ج5،ص25،ومنذ عهد المرابطين اتسعت سلا خارج اسوارها فقد انشئ مسجد جديد بعيد عن نواة المدينة فضلا عن وجود جامع اخر بناهه الموحدين في نفس الاتجاه هو مسجد داود الذي ظلت صومعته المسماة ب بورماده وان ازدياد المساجد دليل واضح على تزايد السكان في هذه المدينة خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر(34)موجزتاريخ سلا ،ص36.

المبحث الثاني:-

عصر دولة بني مرين (613-870هـ):-

لم يكن المرينيون بالقوة التي يمتلكها الموحدين لهذا السبب لم يستطع بني مرين استعادة المملكة الموحدية بشمال افريقيا والاندلس وانما توزعت المغرب بين الحفصيون في تونس وبني عبد الواد في الجزائر اما في الاندلس فقد تقاسم معظم القواعد الاسلامية بها القشتاليون والقطلانيون والت مدينة صغيرة في جنوب الاندلس الى بني الاحمر(35) (العبر،ج٧ ،ص٧٩)، وبهذا لم يبقى للمرينين سوى المغرب الاقصى اذ ابتدآ ظهورهم اواخر سنة 613هـ/ 1216م بدات بالامير الاول عبد الحق بن محيو ثم قامت الدولة في عهد عثمان ابن عبد الحق سنة 616هـ/1219م (36)ورقات عن الحضارة المرينية ،ص١٤).

وبذلك انقرضت الدولة الموحدية بعد ظهور يعقوب ابن عبد الحق واستولى على مدينة مراكش وبهذه الحادثة اصبح يعقوب يلقب بامير المسلمين وتابع يعقوب سيطرته على ما تبقى من المناطق التي كانت خارجة عن نفوذه الى ان خضع له سائر المغرب الاقصى(37)الذخيرة السنية ،ص٢٥)، وكان المرينيون يتطلعون للقيام بعملية عسكرية يستولون بها على مدينة سلا ورباط الفتح لان الاستيلاء على هذين المدينتين من شانه ان يقطع كل اتصال بين الموحدين وشمال المغرب الاقصى وكان الخليفة الموحدي يستشعر بموقع الضربة القادمة للمرينيين لذلك قرر ان يبدأ هو بالهجوم على بني مرين بهدف ايقاف زحفهم نحو مدينة سلا ورباط الفتح فحدث اللقاء بينهم في موضع يسمى امن ملولينين من احواز مكناسة ولذلك اصبح ايقاف بني مرين عن التقدم الى مدينة سلا ورباط الفتح بالنسبة للموحدين مسالة حياة او موت(38)مدينة سلا في العصر الاسلامي، ص٤٢).

الوضع السياسي لمدينة سلا في العهد المريني:-

استمرت مدينة سلا في عصر المرينيين غلى ما كانت عليه في عصر الموحدين فقد اتخذوا منها عاصمة ثانية لهم بعد فاس وقاعدة لتجهيز الجيوش العابرة الى الاندلس واستمرت سلا باستقبال المهاجرين المسلمين من الاندلس(39)الحركة العلمية في مدينة سلا، ص236)، فقد شهدت مدينتا الرباط وسلا حوادث دامية قبل استقرار الحكم للمرينيين فمع انهزام الموحدين دخلت الرباط مرحلة من النسيان بسبب الدمار الذي طالها بسبب المعارك ثم ان مدينة شالة اصابها الاهمال واصبحت في عهد الدولة المرينية مقبرة موقرة لسلاطينها (40)موجز تاريخ سلا ،ص٥٠)، اما سلا فقد تعرضت للهجمة من طرف نصارى اسبانيا سنة 659ه ابان بداية حكم بني مرين وكانت تلك الهجمة الاولى والاخيرة التي عرفتها المدينة فقد كان الحاكم المريني منشغلا في صراعاته ضد عمه السلطان في الوقت نفسه استغلت فيه الاسبان تعاقدهم التجاري مع الحاكم المتمرد فنزلوا في مرسى المدينة وبامر من الملك الفونسوا في سنة 659ه/1260م، وكان ذلك في يوم عيد الفطر والسلاوين منشغلون بالعيد فنزلت القوات بالمدينة وهاجموها بقوة فاحرقوا ونهبوا وقتلوا العديد من الناس واسرو خلق كثير(41)موجز تاريخ سلا،ص٥٠).

الا ان السلطان ابو يوسف المريني قصد المدينة ورفع الحصار عنها ثم سعى بواسطة بعثة ارسالها الى اشبيلة ودفع فدية لنحو ثلاثة الاف اسير بما فيهم قاضي سلا وبعد هذه الحادثة التي كانت تعد اول تدخل اجنبي في اراضي المغرب منذ مجي الاسلام ، فقد شيد السلطان المريني ابو يوسف دار الصناعة وهي ترسانة بحرية توجد بالزاوية الجنوبية الشرقية بالمدينة وكانت هذة الترسانة بمثابة حوض مائي متصل بالنهر بواسطة قناتي تمران تحت الباب اذ يمثل باب المريسة صرحا عظيما لهذه المنشاة(42) ، موجز تاريخ سلا ،50)

الوضع الاقتصادي لمدينة سلا في عهد بني مرين:-

على الرغم من المناوشات البحرية بين المسلمين والنصارى في تلك المدينة الا انه كانت هناك علاقات تجارية مع اوربا فقد استمرت عبر البحر وتطورت اذ كانت للتجارة اثر بليغ على الحياة الاقتصادية في سلا وتحديدا بفضل الذهب التي كانت تجلبه اليها القوافل القادمة من السودان(43)،(موجز تاريخ سلا ،ص51) ، وكانت يصدر من ميناء مدينة سلا العديد من البضائع الى اوربا مثل الكتان والنيلة والقطن والحبوب والفواكه الجافة وجميعها كانت تعد رواجا للتجارة واصبحت تعد مصدرا هاما من مداخيل الدولة المرينية ، وكانت سلا واسفي تمثلان اهم الموانى لتجارة الذهب خلال النصف الاول من القرن الثالث عشر(44)،(موجز تاريخ سلا ،ص٥٢)، وظلت سلا موضع اهتمام ورعاية سلاطين بني مرين ففي سنة

669هـ/1271م غادر السلطان يعقوب ابن عبد الحق المريني مدينة مراكش متوجها الى مدينة رباط الفتح ومنها الى مدينة سلا وهناك اصابه المرض وجعله يسرع في تعيين ولي عهد له فجمع اشياخ بني مرين في مدينة سلا واخذ عليهم العهد بولاية ابنه ابي مالك عبد الواحد(45)(الروض القرطاس ،ص٣٨).

المبحث الثالث

الوضع العلمي لمدينة سلا في العصر المريني

لقد عاصر العصر المريني في فترة قيام دولتهم محنة ثقافية طالت العالم الاسلامي اذ كانت انتكاسة شبة شاملة للثقافة الاسلامية في المشرق والمغرب طال النصف الاول من المئة السابعة للهجرة ففي الفترة التي كانت يزدان العالم الاسلامي بعواصم علمية زاهرة مثل بغداد وبخارى وسمرقند ونيسابور والري والقاهرة وفي المغرب ازدهرت قرطبة واشبيلية وغيرها اذ كانت تضم جميعها عددا ضخما من المراكز العلمية والخزائن وما لا يحصى من العلماء(46) (ورقات عن الحضارة المرينية ،ص٢٣٢).

الا ان في الفترة التي قامت فيها الدولة المرينية قد تعرضت هذه العواصم لنكسة شاملة على اثر اجتياح الغزو التتري الكاسح ففي هذه الفترة المظلمة استطاع المغرب ان ينهض من جديد في ظل الدولة الجديدة التي اسهمت في المحافظة على ما تبقى من المعارف الاسلامية فازدهرت الثقافة في العصر المريني الاول فكان في مقدمة هذا الازدهار هو بناء المدارس والحاق خزائن الكتب باكثرها، ومن قم الانفاق الذي قام به الامراء المرينين على طلبة العلم والعلماء(47)(روض القرطاس،ص٢٧٦)، فضلا عن ذلك ان سلاطين وامراء والدولة المرينية كانوا على جانب من الثقافة اذ حرصوا على عقد المجالس العلمية للمذاكرة والمناظرة كما ان جميع امرائهم كانوا يقدرون رجال الفكر ويرفعون مكانتهم(48)(ورقات عن الحضارة المرينية ،ص٢٣٤)، الا اننا لابد ان نذكر مدينة سلا التي كانت ذات طابع علمي منذ وجود دولة الموحدين حتى قيل ان ابو يوسف يعقوب المنصور (580-595هـ) زاد في اعداد المجالس العلمية واستدعى الى مراكش ابو محمد عبدالله ابن سلمان بن حوط الله (ت 612هـ) قاضي سلا وخطيب جامعها ومعلم مدرستها(49)(الحركة العلمية ،ص٢٢٥)، واستمرت سلا حاضرة اسلامية ذات ثقافة راقية ومركز للثقافة الاسلامية ومدينة توارث اهلها المعرفة جيلا بعد جيل وامتازت بإشعاعها العلمي والديني وقصدها الطلاب للأخذ عن شيوخها فكانت مدينة للعلم وملتقى للعلماء والأحبة وفيها الفنادق والمواسم والكتب(50)(مدينة سلا في العصر الاسلامي ،ص٧٩) فقد اصبحت سلا ذلك المركز الثقافي الذي اخذ يتضح تأثيرها بما شهدته

من الفقهاء والزهاد اذ كانت المعرفة تنحدر من سلالات معينة بالمدينة وتفوقت عن باقي مدن المغرب بأمور الجهاد والتقوى والعلم(51)(موجز تاريخ سلا، ص١٠٤).

اثر مدينة سلا في العصر المريني :

استمر ذلك النشاط العلمي في العصر المريني اذ تعد مدينة سلا مركز مهم من مراكز العلم في الدولة المرينية فكانت تحتل المركز الثاني بعد مدينة فاس في عدد موئساتها العلمية وكذلك اهتمامهم بالعلماء وأقامت المجالس العلمية العامة والخاصة والتي كان لها دور كبير في تشجيع وازدهار الحركة العلمية في مدينة سلا(52)،(الحركة العلمية ،ص٢٤٢)، فنجد مؤسس الدولة المرينية ابو يوسف كان من عاداته بعد صلاة الصبح ان يقر على مسامعه الى وقت الضحى كتب السير والقصص وفتوح الشام فيستمع اليها ويناقش الحاضرين في مشكلاتها(53)،(ورقات من الحضارة المرينية ،ص245)، واستمر تشجيع سلاطين الدولة المرينية لحركة التأليف والعلماء وأجزلوا لهم الهبات والعطايا على مؤلفاتهم اذ كان العلماء يعرضون نتاجهم العلمي والأدبي على سلاطين بني مرين طمعا في نيل مكافئاتهم(54)،(الحركة العلمية ،ص٢٢٥).

المظاهر العلمية لمدينة سلا:

اولا:-المنشئات الدينية :-

1- المساجد :

ينبع الازدهار الثقافي للمغرب من خلال التعرف على المنشئات الدينية من المساجد والأربطة والزوايا فكانت ابرز المنشئات الدينية التي نبع منها العلم في مدينة سلا هو المساجد فتعتبر المساجد التي انشئت قبل العصر المريني هي بدايات الحركة العلمية لمدينة سلا (55)(المغرب عبر التاريخ ،ج١،ص٢٤٣) الا ان مدينة سلا شهدت عدد من المساجد في العصر المريني وكان ذلك من قبل العلماء انفسهم فقد بني مسجد الحاج عبدالله ،ومسجد ابن عباد ،ومسجد الشيخ ابي العباس احمد بن عاشر(56)،(الحركة العلمية في مدينة سلا،ص٢٢٥).

2-الاربطة والزوايا:

اما عن الاربطة والزوايا فكان رباط سلا التي يرابط فيه المسلمون كان يقع في المدينة القديمة المعروفة بسلا القديمة اذ كان الناس يسكنون ويرابطون في هذا المكان فجمع مئة الف انسان(57)(ابن حوقل ،صورة الارض،ص٨٢)، وهناك رباط اخر هو رباط الفتح وزاوية السلطان ابي الحسن المريني الذي شيده داخل سور مدينة سلا(58)،(تاريخ رباط الفتح،ص٧٩) وهناك زوايا بنيت خارجة اسوار سلا في اتجاه الشرق بالطريق المؤدي الى

مكناس عرفت بزاوية الناسك وهي من الزوايا التي تعود الى عهد ابي عنان فاس المريني وهي بمثابة دور للضيافة ينزل فيها الرحالة والمسافرين على اختلاف طبقاتهم(59)،(ابن الخطيب ،مشاهدات، ص١٠٤)، وملاذ للمتعبدين من الفقهاء والسائلين والزوار والغرباء بنيت هذه الزاوية سنة(1356م) وكانت تقع في قرية تدعى صبره كانت تعود لجماعة من الاشراف(60)،(موجز تاريخ سلا،ص٤٦)، فضلا عن ذلك فقد وجد في مدينة سلا زاوية ابي زكريا الحاحي غربي المسجد الاعظم في سلا .

ثانيا-المنشئات المدنية :-

1-الكتاتيب:-

كان التعليم في بلاد المغرب يهتم بالكتاتيب التي كانت تبدء من يوم السبت صباحا حتى يوم الخميس ظهرا وكان التعليم فيها يقتصر على تعليم القران والعناية برسمه ولا يخلطون ذلك بالحديث و الفقه والشعر فاشتهرت عدد من الكتاب في مدينة سلا في العصر المريني وهو احمد ابن عاشر السلاوي (ت 765ه) كان يعلم الصبيان قراءات القران بزاوية عبدالله البابوري في مدينة سلا(61)،(الحركة العلمية ،ص٢٢٥)، كذلك ظهر في تلك الفترة ابو الحسن علي ابي موسى ابن اسماعيل المطماطي السلوي (ت 773ه) يعد من علماء مدينة سلا اذ اشتغل بالتدريس والاقراء حتى عرف بانه مقرء سلا اذ كان يرجع له في دراسة القراءات والنحو واشتهر ايضا في مدينة سلا احمد ابن محمد نور الله السلاوي (ت865ه) كان يعلم الصبيان بطلعة فاس في مدينة سلا(62)،(الاستقصا،ج٣،ص٢٠٦).

2-المدارس:-

وجدت المدارس في سلا منذ عهد دولة الموحدين فقد اهتم الموحدين في مدينة سلا ببناء المدارس, لكن لم يبقى لها اثر يذكر اذ يكون من المحتمل ان المرينيين قد هدموها واقاموا مكانها مدارس تحمل اسم امرائهم وسلاطينهم وطابعهم الخاص(63)(الاستقصا،ج٣، ص٢٠٦)، فقد انشئت في بلاد المغرب عدة مدارس لسلاطين الدولة المرينية كانت موزعة بين فاس وسائر بلاد المغرب ومنها مدينة سلا فبدأت مرحلة جديدة في بناء المدارس وهو التخصص في المدارس المختلفة فاتضح من خلال وجود مدرسة الطب في مدينة سلا التي كانت تدرس علوم الطب فقط والتي اسسها السلطان ابو عنان فاس المريني (749-759ه)عند باب حسين لتكون متخصصة في علوم الطب ومن اشهر المدرسين فيها ابن غياث السلاوي وابو عبدالله ابن المجراد السلاوي(64)(الحركة العلمية لمدينة سلا،ص225)، وقد حضيت سلا بوجود منشئات اشهرها المدرسة العظمى التي بنيت في اوج ازدهار بني مرين ابان حكم السلطان ابي الحسن وكانت هذه المدرسة كما يسميها المغاربة هي عبارة عن ماوى

للطلبة الوافدين من خارج المدينة اذ كانوا يقيمون بها ويأكلون اما دروسهم فياخذونها من المسجد المجاور(65)،(موجز تاريخ سلا،ص42)، وقد وجدت في سلا مدارس يتم فيها تعليم فن الملاحة وتخرج الملاحين في مدينة سلا وهي تعد المدرسة البحرية الاولى من نوعها في العالم الاسلامي(66)،(الحركة العلمية، ص226)، وتقع اهم مدرسة بسلا في حومة الطالعة عند قدم الجامع الكبير على يسار مدخله الرئيسي في موقع كان يشغله وفق ما يقال قصر بني العشرة فان هذه المدرسة تتكون من فناء مستطيل رخام وتحيط به اربع اروقة تعلوها غرف صغيرة للطلبة من طابقين وقد رصعت هذه المدرسة بزخارف ونقوش على الجبس والرخام والخشب وعند مدخل المدرسة على اليسار تظهر اشعار منقوشة على الجدران تقول(67)،(موجز تاريخ سلا،ص42).

لعمري لقد مارست شتى المجالس ومازجت في الافاق جل المدارس

وحدثت عن حمص وبغداد وانتهت الى مسامعي انباء كل ممارس

استمر ازدهار المجالس في مدينة سلا خلال ايام حكم المرينيين الا انه قد اعتراها الخلل بعد ذلك لكن في نهاية القرن الثامن عشر قام قاضي سلا محمد بن حجي القاسم بترميمها واستئناف الاصلاحات بها سنة 1864م، لما ضعف حال الدولة المرينية وضعف حال ملوكها فبطل العطاء وانقطع الامداد فهجرت بعض المدارس ومنها المدرسة التي عرفت كسوق للطب كسائر المعارف والعلوم باقطار المغرب لقلة اعتناء الملوك بها(68)(موجز تاريخ سلا،ص44).

3-علماء مدينة سلا واثرهم العلمي في العصر المريني:-

ظهر في سلا الكثير من الفقهاء والقضاة والمحدثين والزهاد اذ يقول ابن الخطيب عنها ((وان كان بها اهل عبادة وسالكوا سبيل وزهاد)) منهم ابو القاسم عبدالرحمن ابن محمد ابن عبدالرحمن ابن عبد الرحيم ابن احمد الكتامي يعرف بابن العجوز وقد تولى قضاء سلا على ايام المرابطين(69)(حلى المغرب ،ج1،ص397)، الا ان ما تميزت به الحركة العلمية في مدينة سلا في العصر المريني ظهور عدد كبير من العلماء فكان منهم من هو مقرئ ومحدث وفقيها ومنهم من كان يشتهر بالادب والنحو ومنهم من كان قد درس علوم الطب في الوقت نفسه تميز في العلوم الدينية(70)،(الحركة العلمية ،ص239)، لذلك لا بد لنا من ذكر ابرز علماء مدينة سلا الذين برزو في ايام الدولة المرينية واشتهروا بالعلوم الدينية من القراءات ،والتفسير، والحديث، فضلا عن ازدهار علم التصوف فيها وظهر الكثير من العلماء مما ادى الى ان يطلق على مدينة سلا اسم بلد الصالحين ومن هؤلاء العلماء الذين برزوا في سلا منهم احمد بن محمد ابن احمد بن خلف بن سلمان بن خالد بن بهلول بن احمد العبدري روى في الاندلس

عن بعض شيوخها ثم رحل الى المشرق وادى فريضة الحج ثم عاد الى المغرب واستوطن في سلا وحدث بها وكان من المحدثين وتوفي بها(71)،(ذيل التكملة ،ق1،ص376)، والاخوين عبد الله وداود ابن حوط الله الانصاري الحارثي واكبرهما عبدالله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن حوط الله ولد ببلنسية ودرس بها ثم درس في قرطبة وبرز في علم الحديث والقراءات وكان اماما في صناعة الحديث وتولى القضاء في سلا توفي سنة 612هـ(72)(ذيل التكملة ، قسم الاول، ص377)، ولا ننسى عبد العباس احمد بن محمد ابن عمر الانصاري المعروف بابن عاشر اصله من بلدة شمينة في الاندلس اتجه الى المشرق لأداء فريضة الحج ثم عاد الى المغرب فأقام بفاس مدة، ثم عاد بعد ذلك واستوطن سلا وكان من العلماء الصالحين الجامعين بين العلم والعمل ذاع صيته حتى سنة 757هـ/1356م،توفي ابن عاشر سنة 765هـ /1363م.ودفن جنوب مدينة سلا(73)(جندة الاقتباس، ص153). يبدو ان شهرة ابن عاشر كطبيب تكتسي بصبغة اسطورية على انه كان يشفي المقعدين والمجانيين ويعتقد البعض ان بركته تهدأ الامواج ولقد تحولت الشخصية التاريخية لابن عاشر من اسلوب صوفي على ماكان معروف عنه في عهد الدولة المرينية الى اعتقاد استشفائي وحمائي خصت به المدينة نفسها (74)(موجز تاريخ سلا ،ص50).

كما نذكر ايضا احمد ابن القاسم ابن عبد الرحمن الجذامي يعرف بالقباب قال عنه ابن الخطيب (تعرفت به في مدينة سلا وأعجبتني سمته وحضرت مجلسه في الحديث والفقه واصول الدين) و القاضي ابو عثمان سعيد ابن محمد العقابي ولي قضاء سلا وتوفي سنة 811هـ. (75)، (مدينة سلا في العصر الاسلامي، ص82).

الخاتمة:-

كانت المدن العربية ببلاد المغرب التي تم تأسيسها من قبل المسلمين مثل القيروان والعباسية ورقادة والمهدية وفاس، قد لعبت دورا كبيرا في ازدهار العلم والفقه والادب اذ تركت اثارها الفكري في افريقية ومعظم مدن المغرب فكان من نتائج هذه المدن ظهور مدن على مر التاريخ الاسلامي في مناطق متفرقة من المغرب فكانت سلا من المدن التي كانت امتداد للمدن العلمية في بلاد المغرب وبهذا تركت اثر كبير على سكانها .اذ تعد مدينة سلا من المدن المهمة ذات الموقع الجغرافي المهم فهي حلقة وصل بين شمال المغرب الاقصى وجنوبه . لذلك استمرت مدينة سلا في عصر بني مرين على ما كانت عليه في العصور السابقة وتخذوها عاصمة ثانية لهم بعد فاس فحرص سلاطين بني مرين على رعاية العلم والعلماء في تلك المدينة وزدهر بها العلوم الدينية والطبية فضلا عن أزدهار علم التصوف اذ برز الكثير من العلماء حتى عرفت ببلد الصالحين .

قائمة المصادر والمراجع :-

1- ابن الابار ،ابو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي ت،658هـ، الحلة السيراء، نشر وتحقيق د.حسين مؤنس، جزئين ،ط1،القاهرة ،1956م.

2- ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، طبعه دار البيضاء ، المغرب، 1965م.

3- بوحبذار ،ابو عبدالله محمد ،مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح ، تقديم عبد العزيز الخمليشي ،كلية الاداب ،الرباط ، مطبعة الامنية ،2012م،ط1.

4- ابن حوقل ابو القاسم محمد ابن علي ، صورة الارض ، بيروت ، 1962م

5- الادريسي ،ابو عبدالله السبتي ،ت548هـ،صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس ،كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق ،ليدن ،1866م.

6- ابن الخطيب، ابو عبدالله لسان الدين بن محمد بن عبدالله ،ت776هـ، مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في المغرب والاندلس ،تحقيق: احمد مختار العبادي ،الاسكندرية ،1983م،

7- ابن خلدون ،ابو زيد عبد الرحمن بن محمد ،ت808هـ، العبر وديوان المبتدأ و الخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ،ج4،بيروت ،1981م

8- حمدي عبد المنعم محمد حسين ، مدينة سلا في العصر الاسلامي دراسة في التاريخ السياسي والحضاري ، كلية الاداب ، الاسكندرية .1993م.

9- الزهري ،عبد الله محمد بن ابي بكر ،ت اواسط ق6هـ، كتاب الجغرافية ، تحق :محمد حاج صادق ،مكتبة الثقافة الدينية ،بور سعيد.

10- السلاوي، ابو العباس احمد بن خلدون الناصري ، ت 1315، الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى ،طبعة الدار البيضاء ،1945م.

11- ابن سعيد المغربي، ابو الحسن علي بن موسى بن محمد ،ت 685هـ، المغرب في حلى المغرب، تحقيق ،شوقي ضيف ج2،القاهرة ،1953م

12- سميحة ناصر خليف، مدينة سلا المغربية ، مقال ، 2 اكتوبر 2016 ،الموقع الالكتروني

13- السويسي ،عبد الله ، تاريخ رباط الفتح ،مطبوعات المغرب السلسلة التاسعة ،الرباط ،1979م.

14- السلاوي ،ابو العباس احمد بن خلدون الناصري، ت1315هـ ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، طبعة الدار البيضاء،1954م.
15- ابن عذاري المراكشي ، ابو عبدالله محمد، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تحق لينيه بروفنسال، بيروت ،1967م.
16- ابن عبد الملك ،محمد بن محمد بن سعيد المراكشي ،الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة ،تحقيق احسان عباس ،بيروت ، قسم الاول.
17- كينيث براون، موجز تاريخ سلا 100-1800، ترجمة محمد حبيدة، اناس لعلو، منشورات امل، الدار البيضاء، 2001.
18- ابن القاضي، احمد بن محمد المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام بمدينة فاس ، الرباط ،1974م.
19- محمد المنوني ، ورقات عن الحضارة المرينية في العصر المريني ،منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية، الرباط ، 1979م.
20- محمد عبدالله المعموري ، غالب محمود حمزة المصراع، الحركة العلمية في مدينة سلا في عصر الموحدين بني مرين ، مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية ، بحث منشور، بابل.
21- ممدوح عبد المنعم، مدينة سلا في العصر الاسلامي دراسة في التاريخ السياسي والحضاري.
22- مؤلف مجهول ،كتاب الاسبتصار في عجائب الامصار لكتاب مراكش من القرن السادس الهجري، نشر وتحقيق سعد زغلول ،الاسكندرية ،1958م.
23- مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تحق ليفي بروفنسال، الرباط ، 1934م.
24- النويري ،احمد بن عبد الوهاب التميمي القرشي،ت722هـ، نهاية الارب في فنون الادب، غرناطة ، ج22،
25- ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبدالله ،معجم البلدان ،دار صادر ،بيروت ، 1977م مج

The scientific effect of Sale city on the city of Bni Marin

Dr. BAYAN YASEEN ABBAS
College of Education -Mustansiriyah University
abbasbian@gmail.com

Keywords :Bni Marin/ Sale city/ The scientific effect

Summary:

Sale city was originally a small village is located on the Atlantic coast of Morocco. When the general Uqbah ibn Nafi opened the city the people of the city declared their conversion to Islam, then it was taking by Al Adarissa, and it was destroyed by Al Murabitun at the beginning of their era. The city of Sale witnessed urban development during the reign of the prince Yusuf ibn Tashfin also during Al Muwahideen era between the middle of the eleven century to the middle of the thirteen century this city had flourished unlike other important cities in Morocco.

As for the Marini era the city continued as it was during Al Muwahideen they chose it to be the second capital after Fas for them and a military base for the passing armies to Al Andalus after that Sale start to welcome the muslims who emigratef from Al Andalus. Sale continued to be the subject of interest for the Bni Marin sultans and that helped the city to rise again under the shadow of a country contributed to preserve what left of the Islamic knowledge. Sale continued to be the culture center and a city whose its people inherit the knowledge generation by generation where the knowledge decanted from certain ancestry in the city and the scientific movement, where the appearance of jurists, judges, modernists and ascetics; made Sale a distinguishable from the other cities in Morocco in matters of jihad, devout and science during the Marin era.